مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
760 – 743 :(2024) 1 العدد 17 المجلد ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892

الذات المنكسرة وتجلياتها في الشعر الملحون المغاربي
– قصيدة الشمعة لابن الرزين أنموذجا –

The Broken Self And Its Manifestations In Maghreb Poeticpoetry - The Poem "The Candle" By Ibn Al-Razin As An – Example

سهام بونوالة[1] ، عبد اللطيف حني[2]

1– جامعة الطارف(الجزائر) ، كلية الآداب واللغات، مخبر التراث والدراسات اللسانية،
s.bounouala@univ-eltarf.dz

2– جامعة الطارف(الجزائر) ، كلية الآداب واللغات، مخبر التراث والدراسات اللسانية،
henni-abdellatif@univ-eltarf.dz

تاريخ الاستلام:15-09-2023 تاريخ القبول:19-05-2024 تاريخ النشر:06-06-2024

ملخص:

نسعى من دراستنا إلى الوقوف على تجليات حضور الذات المنكسرة في النص الشعري الشعبي المغاربي، وقدرته على عرض دواخلها وتجاربها الشعورية، وذلك بالتركيز على تجربة الشاعر الشعبي المغاربي ابن الرزين، متخذين من قصيدة الشمعة المعروفة في التراث الشعري المغاربي نموذجا للتطبيق، حيث تمثل مرآة عاكسة لانكسار ذاته وصراعه الداخلي، ناهيك عن شعوره بالتشتت والضياع أمام واقع باعث على اليأس والكآبة أملته جملة من العوامل الذاتية والموضوعية أسهمت في تغذية مضامين القصيدة.

كلمات دالة :الشعر الملحون، ابن الرزين، الشمعة، الذات، الانكسار

المؤلف المرسل: سهام بونوالة: s.bounouala@univ-eltarf.dz

Abstract:

Throughourstudy, weseek to identify the manifestations of the presence of the broken self in the Maghreb popularpoetictext, and itsability to presentitsinteriority and emotionalexperiences, by focusing on the experience of the Maghreb popularpoet Ibn al-Razin, taking the poem "The Candle," known in the Maghreb poeticheritage, as a model for application, as itrepresents a reflectingmirror of refraction. himself and hisinternalconflict, not to mention his feeling of distraction and loss in the face of a reality that inspires despair and depression, dictated by a number of subjective and objective factorsthatcontributed to nourishing the contents of the poem.

Keywords: saltypoetry, Ibn al-Razin, candle, self, brokenness

مقدمة

يعتبر الشعر الملحون شكل من أشكال التعبير الشعبي، يتداول من جيل إلى آخر عبر الذاكرة الجماعية التي تحفظه، يتناول فيه الشاعر مواضيع مختلفة مأخوذة من عمق الجماهير الشعبية، فيتحدث باسمهم ويعبر عن أمالهم وآلامهم، ليذوب في الجماعة دون أن ينسلخ من ذاتيته، كاشفا عن تجاربه الشخصية، فتؤدي بذلك الذات الشاعرة الدور الأكبر في التعبير، لأنها حاضرة لديه مقنعة أو مكشوفة في كثير من القصائد الملحونة.

وبهذا ارتبط الشعر الملحون ارتباطا وثيقا بقضايا الشاعر وانشغالاته فعبر من خلاله عما يجول في نفسه، وعن تجاربه وخبراته التي تحصل عليها نتيجة احتكاكه بالبيئة التي يتفاعل معها، باستعمال اللهجة المحلية أي اللغة العامية التي يفهمها كافة الشعب، ومن ثمة فالشعر الملحون ترجمان لإحساسات الشاعر الباطنية وانفعالاته النفسية من شوق وحنين، ألم وانكسار.

وقد برزت أسماء لامعة في المغرب العربي خلدت عبر إبداعها الشعبي أبلغ مستوى التعبير النفسي إذ نجد شاعر الملحون ابن الرزين سار المسار نفسه، وسارع لتفريغ شحنات أحزانه وهمومه، فجعل المتلقي يتشارك معه لواعج نفسه وأوجاع ذاته المنكسرة بلغة حزينة مؤثرة وذات دلالة.

إن تشابك الظروف الحياتية التي عاشها الشاعر الشعبي " **ابن الرزين**" أدى إلى تفاقم أحزانه وهمومه، فراح يعبر عن انكساراته النفسية وأوجاعه الذاتية مستحضرا في مخيلته صورة

الشمعة قبل أن تتشكل في لغته الشعرية، فخطابه الذاتي أشبه بالاعترافات الشخصية العاكسة لانكساراته الذاتية نتيجة ما شهده من فراق وغربة وصراع، فقصيدة الشمعة ترجمة للأحاسيس والمشاعر تعكس تجليات ذاته المنكسرة، تغنى فيها الشاعر بتمزقاته وانقساماته المتواصلة، وكأنه أراد من المتلقي أن يشعر بحجم الأسى الذي يعانيه من ألم الفراق والصراع والاغتراب بين الأهل والأحباب.

لقد جعل الشاعر الشعبي "**ابن الرزين**" من الشمعة كائنا حيا له إحساس يؤثر ويتأثر، يسمع ويحكي، يحزن ويتألم، فيقيم حوارية بينه وبينها ليكشف عن أوجاع ذاته وانكسارها متخذا منها أنيسا لوحدته مترجما لآلامه. وهذا دليل واضح على قوة الخيال الشعبي في الجمع بين ما هو نفسي وما هو طبيعي مثلما فعل شاعرنا ابن الرزين.

إن الربط بين الشمعة وحالة الشاعر لم يكن عفويا، وإنما أملته الحالة النفسية لذاته المنكسرة التي تتخبط في بحر من الحزن، ناهيك عن نار الشوق والحنين إلى من يحب وإذا حاولنا أن نتمثل هذا التصوير الذي رسمه "**ابن الرزين**" نجده عبارة عن مشهد نفسي يلونه شعور قوي بالحزن والانكسار، وهذا أمر طبيعي على اعتبار أن الشعر الشعبي هو صدا لحالات الشاعر الشعبي الشعورية واللاشعورية.

من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة الغوص في نفسية الشاعر" **ابن الرزين**" والكشف عن حالته الشعورية التي ترجمتها قصيدة الشمعة، وتبيان أسباب هذا الانكسار ومستوياته القارة وراء لغة خطابه الشعري ومكوناته، ومحاولة منا استنطاق القصيدة وإبراز جوانب الانكسار لصوت الذات (الأنا) عند "**ابن الرزين**".

أولا–مفهوم الذات :

1–المفهوم اللغوي للذات:

تقودنا هذه الدراسة إلى تتبع لفظة "**الذات**" بين ثنايا المعاجم اللغوية للوقوف على دلالتها وما تحمله من معاني مختلقة تسهم في إثراء ما نصبو إليه، وبالرجوع إلى معجم لسان العرب نجد **ابن منظور يقول:**" لو قيل ذات صباح مثل ذات يوم لحسن لأن ذا وذات يراد بهما وقت مضاف إلى اليوم والصباح. وفي التنزيل العزيز فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، قال أبو العباس أحمد بن يحي أراد الحالة التي للبين، وكذلك أتيتك ذات العشاء، أراد الساعة التي فيها

العشاء ،... وكذلك تعني اللهم أصلح ذات البين أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون" (ابن منظور، د.ت، ص457)

يشير ابن منظور في هذا التعريف اللغوي إلى مقتضى الحال الذي يكون عليه الشخص في سائر أحواله. وبمعنى أعم ما بين العامة من أواصر القرابة والمودة أو العداوة والبغضاء.

بالعودة إلى المعجم الرائد نجد أن الذات هي "النفس، ناحية من نواحي الشخصية قادرة على المعرفة الاستنتاجية" (جبران، 1998، ص370)، بمعنى أن الذات ركيزة من ركائز بناء الشخصية تتمحور في الجانب الداخلي للضمير أو الشعور الذاتي للإنسان فهي نفسه وعينه،تدل على جوهره وسريرته ،يمكن من خلالها تحليل السلوك الإنساني واستخلاص ردود أفعاله.

كما ورد معنى كلمة ذات في المعجم الفلسفي دلالة على الماهية بمعنى ما به الشيء هو هو، ويراد به حقيقة الشيء ويقابله الوجود، وقد يطلق على الماهية أيضا باعتبار الوجود. (صليبا، 1982، ص579)

من خلال ما تم ذكره نستنتج أن لفظة ذات وردت في العديد من المعاجم اللغوية كلفظ صريح المبنى والمعنى، أو لفظ لغوي مرادف لنفس وماهية الشيء وجوهره. والذات تطلق على باطن الشيء وحقيقته.

2–المفهوم الاصطلاحي للذات:

تعتبر فكرة الذات من أكثر الأفكار حضورا في المؤلفات الغربية والعربية، فقد لقيت اهتماما واسعا من طرف المنظرين والفلاسفة عامة وعلماء النفس خاصة، بغية الغوص في نفسية الإنسان لمعرفة طبيعته وماهيته، الأمر الذي أفرز كما هائلا من الآراء والأفكار المتشعبة في ضبط مفهومها تبعا لخصوصية كل ميدان من ميادين البحث والدراسة، فترادفت العديد من المصطلحات التي تصب في معنى الذات، كالنفس، الأنا، الماهية، الوجود ...للدلالة على الجانب المضمر في الإنسان.

وأورد جميل صليبا في معجمه معنى الذات، حيث يقول :"الذات النفس والشخص، يقال ذات الشيء نفسه وعينه ،والنسبة إليه ذاتي. والذات أعم من الشخص، لأن الذات يطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يطلق إلا على الجسم " (صليبا، 1982، ص579). فالذات هنا أعم من الشخص وهي لفظ عام يشير إلى النفس والعين .

ويشير مفهوم الذات إلى مجموعة الآليات التي تنظم حياة الفرد وعلاقاته بالآخر وبالطبيعة وبالله. وبناء الذات عند كل فرد يقوم على السمات الجوهرية الخاصة بثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه. (الصديق، د.ت، ص25).

نستنتج من هذا التعريف أن مفهوم الذات يتحدد بعلاقة الفرد مع غيره من الموجودات، ويحتكم بناء هذه الذات (الشخصية) الفردية إلى مختلف الحمولات الاجتماعية التي تمثل ذلك الكل المركب الذي يساهم في تشكيل سلوك الفرد الظاهري، وما يؤكد هذا الطرح ما ذهب إليه (**حسن شحاتة**) في أن الذات مدركات وقيم تنشا من تفاعل الفرد مع البيئة، والذات تحافظ على سلوك المسترشد، والذات في حالة نمو وتغير نتيجة التفاعل المستمر مع المجال الظاهري والفرد لديه أكثر من ذات: الواقعية، المثالية. (شحاتة، 2008، ص24).

يجنح الكثير إلى التعبير عن ذاته بأشكال متعددة، فقد يلجأ تارة إلى الصراخ والحزن، أو الصمت والفرح، وتارة أخرى إلى الكتابة من خلال النصوص الأدبية والمعاني الشعرية، التي تعد الفضاء الأوسع للتعبير عما يختلج ذات الفرد ويجوب في خاطره من أفكار وعواطف.

من هنا فإن الذات تمثل عنصرا هجينا للفكر والعاطفة، يبوح بها الشاعر في نصوصه الشعرية إيمانا منه بقدرتها على إيصال خبراته وأحوال نفسه ضمن النسق الاجتماعي الذي يعد المحرك الأساسي لهذه الذات، وعليه فالذات في تفاعلها مع مختلف الأنساق الاجتماعية قد تجد نفسها في قلق واضطراب، مما ينتج عنه فوضى في تلك العلاقات وشلل في القدرات واضمحلال في الطاقات الإيجابية للفرد، مما يسهم في انكسار ذاته وهدم في شخصيته. ليصبح عاجزا على تقبل العديد من الأمور لقهر هذا الانكسار. وبما أن الإنسان كائن اجتماعي على حدّ قول ابن خلدون، يتفاعل في بيئته، يؤثر ويتأثر فإن لهذه الأخيرة علاقة جوهرية بذاته ومستودع لانكساراته ووعاء لأحزانه.

وكنتيجة لذلك يتمخض عن هذه العلاقة تعدد أشكال الانكسار الذاتي الذي يهدد توازن الشاعر واستقراره؛ إذ تقودنا قصيدة الشمعة كمادة شعرية إلى انكسارات ذاتية تسترعي انتباه المتلقي للوهلة الأولى. فبعد التمعن في جلّ محطاتها نقول: أن انكسار الذات عند ابن الرزين يجمع بين ذات باكية، ذات متألمة، ذات ساردة، ذات مغتربة والذات الحائرة.

ثانيا:علاقة نزعة الحزن بالشعر الملحون المغاربي في ضوء البيئة المغاربية:

يرتبط الشاعر ببيئته ارتباطا وثيقا، وكل ما ينتجه يمثل انعكاسا لها، فالأديب ابن بيئته كما هو معروف في الدراسات النقدية، فحين يريد ترجمة مشاعره وأفكاره ومواقفه يجد ذاته حبيسة بيئته، فينطلق من وجودها وكينونتها وما توفره له من أفكار ومعاني لتأطير موضوعه، لتتولد بينهما علاقة تشبه علاقة الروح بالجسد، فكل واحد منهما مكمل للآخر.

وبالغوص في نصوص الشعر الملحون المغاربي تتأكد مصداقية هذه العلاقة، التي تبرز أثر البيئة المغاربية في تحريك لواعج الشعراء والإفصاح عن مكنوناتهم بلهجة عامية محملة بالانكسارات والأحزان، لتثبت بذلك واقعية الشاعر الشعبي في نظرته وفي تأمله لكل الأوضاع المحيطة به، ففلسفة الانكسار والحزن أملتها البيئة المغاربية المشحونة بالصراعات والأوضاع المتأزمة التي عرفتها البلاد العربية في مراحلها التاريخية المتعاقبة، والتي كانت مسرحا لأحداث دامية وثورات جامحة وتصادم مستمر مع الاستعمار، زد على ذلك فقدان الوحدة العربية مع وجود خلخلة في إعادة بناء وتشييد دولة قوية ما بعد مرحلة الاستدمار.

ولو أردنا أن نرسم خارطة لأقطار المغرب العربي في هذه الفترة نجدها على حد قول صالح الخرفي :"ذات بقعة ملتهبة، لجاءت حمراء قانية، يكاد يتلاشى فيها أي لون آخر غير لون الدم والمشاعر المتأججة" (الخرفي، 1985، ص 42)، لتنعكس هذه الأوضاع وغيرها بصورة جلية على إنتاج الشاعر الشعبي الذي نجح بامتياز في تصوير أحداث عصره وأحوال مجتمعه بذات مفعمة بالانكسار والحزن.

إن المنحى الذي سلكه الشاعر الشعبي في إبداعه لم يكن اعتباطيا، بل تضافرت مجموعة من الأوضاع المتداخلة ساهمت في تغذية ذاته بالانكسار، وفي خلق بوتقة من الأحزان مثلت انعكاسا للبيئة المغاربية التي تفاقمت أحداثها لتمس الذات الأنثوية التي ارتسمت أشعارها بنغمة حزينة مثقلة بالانكسار والمعاناة، جراء واقعها المضطر بالذي أتاح لها فرصة التعبير عن همومها الذاتية والاجتماعية، معلنة عن تغيير واقعها ورسم أفق المصير المنتظر.

ثالثا : تجليات الذات المنكسرة في قصيدة الشمعة:

تنفتح قصيدة الشمعة "**لابن الرزين**" على عدّة قراءات نظرا لعمق معانيها وجمال ألفاظها ومعالجتها موضوعات متعددة، طغى عليها البعد النفسي المنكسر ترجمه الشاعر في حواريته مع الشمعة، هذه الأخيرة بدورها موجوعة ومتألمة في صمت لتجد من تكشف له عن مصابها

ومعاناها التي لا تنتهي، والمتأمل في أبياها يدرك من الوهلة الأولى النفس الحزين للشاعر، الذي يسرد يبكي، ويتألم فشكلت قصيدته فسيفساء من الذوات المنكسرة نترجمها فيما يأتي:

1- الذات الباكية:

تعتبر لفظة البكاء من الألفاظ التي سجلت حضورها بقوة في قصيدة الشمعة، متضمنة في نسيج الألفاظ الدالة على الانكسار الذاتي، وظفها الشاعر ليعكس جو الانكسار الذي كان يصاحبه، مستخدما أسلوب الاستفهام الذي أدى دورا فاعلا في كشف قلق الذات وتوترها الداخلي، فضمّن قصيدته سؤالا محوريا طرحه على الشمعة وينتظر جوابها، ليكشف عن سبب بكائها ودموعها مستخدما لفظة "**واش بك**" بمعنى (**ما بك**)، وذلك في قوله: (أرزين، 2009، ص114).

لله يا الشمعة سلتك ردي لي إسالي   واش بك في الليالي تبكي ما دالكي أشعيلة

يقدم شاعرنا في البيت السابق سؤالا لنفسه ويجيب في الآن نفسه، فهو من يبكي ويتألم ويعاني من انكسارات داخلية هزت ذاته نتيجة الظروف الاجتماعية التي أحاطت به –وهذا ما سنقف عنده فيما بعد– فدموع الإنسان تنهمر لأسباب كثيرة منها الفراق، فقدان الأحبة، الإحساس بالظلم والإخفاق في تحقيق شيء ما، وهذه الأمور مجتمعة تغلغلت في ذات شاعرنا فاتخذ منها وسيلة لتفريغ الطاقات السلبية التي تفاقمت في ذاته المنكسرة.

في الأبيات الأولى من القصيدة يواصل الشاعر طرح تساؤلاته للشمعة ليعرف ما خطبها ولماذا هي تبكي طول الليل؟ وسبب تهيئها للبكاء بين لحظة وأخرى، حتى أن كثرة دموعها لم ير لها مثيل في هذا الكون، فكل عملية بكاء تقود إلى أخرى فيقول: (أرزين، 2009، ص113).

اَعْلاَشْ يَا لشَّمْعَة تَبكِي مَا طَالْتْ اللّيَالِي   وَاشبِكْ يَاللِّي تَتْهيَّاْ للَبْكَاء كُلّْ لِيلــــةَ

اَعْلاَشْك تْبَاتِي طُولْ اَلدِّيجَانْ كَتْلاَلــي   وَاشْبِكْ يَاللِّي مَا رِينَا لَكْ فِي الْبْكَا أمْثِيلةَ

تتردد وتكرر أساليب الاستفهام (**أعلاش، واشبك**)، لتعكس حيرة الذات واضطرابها ورغبتها في تجاوز الواقع واستشراف ما تخفيه الأيام، فالشاعر يتوجه بها ليعكس حالة الدهشة والاستغراب المقترن بالحيرة والوحدة من الواقع الذي يعيشه.

لقد وظف الشاعر لفظة الليل بمرادفها الدجى عدة مرات، وهذا أمر طبيعي إذ ارتبط ذكر الليل بالقلق والسهر، وتفريغ الهموم، حيث يرمز الليل إلى الحالة السوداوية التي يعيشها ابن

الرزين؛ إذ تجد الذات في الظلام حافزا قويا للارتداد إلى ذاتها، ويزداد اضطرابها حين تكون محفوفة بالوحدة والعزلة عن الأحباب أو عن عناصر الحياة الأخرى، وفي هذا الصدد يقول داود الأنطاكي: "وإنما أكثر ...ذكر الليل دون غيره لأنه محل سكون الحواس، وهدوء الأنفاس، وخلو النفس بعد انطباق مسالك عنها، فتجلب الأفكار الخفيات فيما مضى وما هو آت ...." (ملحم، 2004، ص74)

يستمر الشاعر في تفجير الدلالات العميقة المفعمة بالحزن ليفرغ همومه ويسقط معاناته الداخلية وانكساراته النفسية على الشمعة، وتتجلى الإشارة الأولى لهذا الموقف النفسي جلية واضحة في الأبيات التالية:(أرزين، 2009، ص113)

اَعْلاَشْك كتْسَاهَرْ دَاجَكْ مَاسَاهْرُوا أنجالي وَاشْبِكْ يَاللِّي وَلِتِي مَنْ ذَا اَلْبْكَا اعْلِيلة

اَعْلاَشْ بَاكْيَة رَوِّعْتِي نَاسْ اَلْهْوَى امْثَالِـــي وَاشْبِكْ يَاللِّي تَنْصَرْفِي بَدْرَارَكْ اَلْهْطِيلة

يتقاسم شاعرنا مع الشمعة معاني البكاء والسهر والحزن؛ إذ كشفت هذه الأبيات عن دواخل الشاعر المجروحة، فالبكاء والسهر تمكنا من ذاته وتغلغلا في أعماقه، فاستخدم ألفاظ الشكوى (السهر، الدجى، الهوى، العلة، البكاء)، التي تعبر عن تباريح الذات وانكسارها، فيثير العديد من التساؤلات التي تنبعث من حزنه العميق مصورا حياته في حالة اليأس والقلق والخوف من الزمن والأهل، وقد جمع بين المرض الجسدي والمرض النفسي، لكن هذا الأخير تغلب عليه وبدأ الوهن يدب في نفسه.

يلح الشاعر مرة أخرى بأسئلته على الشمعة، ليعود الحوار مجددا من خلال صيغة السؤال المحورية (**اعْلاش**)، ليكشف السبب الحقيقي وراء دموعها ويجسد حالة الضياع والانكسار الذاتي الذي ينتابه قائلا:(أرزين، 2009،ص113)

اَعْلاَشْ بَاكْيَة وَانْتِيِّ فَي اْمرَاتَبْ اَلْمْعَالِي وَاشْبِكْ يَاللِّي فِيكْ اَوْصَافْ اَلْعَاشْقِينْ صِيلةَ

يظهر الشاعر مكانة الشمعة وقيمتها، فهي في مراتب عالية مطلوبة ومحبوبة، تملك أوصاف العاشقين، فيخاطبها لماذا تبكين (**اعلاش باكية ؟**)، وبهذا يدمج بكاءه بالشمعة تعبيرا عن صراعه مع نفسه رغم علوّ قدره ورفعة شأنه .

ولإضفاء مستوى آخر من المعاناة والانكسار نجد أن ذات الشاعر اتحدت بذات الشمعة، أو بمعنى آخر انحلت فيها، فحالتها النحيلة واصفرارها وعلامات شحوبها انعكست سلبيا على حالته، والنظر إليها يصيب خاطره وأعماقه الممزقة بالنحول؛ إذ يقول:(أرزين، 2009، ص113)

اَلَى اَنْشُوفْ للاَصْفِرَارَكْ يصْفَارْ لُه اَخْيَالِي وِإلى اَنْشُوفْ لَذْبَلْتَكْ زَادَتْ خَاطْرِي اَذْبِيلة

والملاحظ أن هذه الفكرة تتعانق مع أفكار العديد من الشعراء الرومانسيين الذين يوظفون عناصر الطبيعة، وينحلون فيها بأشعارهم، أو ما يعبر عنه "**بالحلول الشعري**" أمثال "**خليل مطران**"، الذي يعدّ من أوائل الشعراء المنحلين بالطبيعة، وهذا ما يؤكد أسبقية شعراء الملحون في الخوض في العديد من القضايا الشعرية التي توحي ببراعتهم وتميزهم في الوصف والتصوير.

كما وظف الشاعر اللون الأصفر الذي يحيلنا على نفسيته، وما يحمله هذا اللون من دلالات المرض والانكسار التي تنطبق على حالته، فاصفرار الشمعة أثر عليه قلبا وقالبا وزاد في صراعاته الداخلية التي لم يجد حلا لها، كما أن هذا اللون جسد حالة الضياع وعدم الطمأنينة التي عاشها شاعرنا سببها مخالفته لبعض خصومه.

يواصل الشاعر حواريته المؤلمة ليستحلفها بالله أن تسرد مُصابها والداء الذي حل بها، وبنوع بفنون من الإلحاح، فيطلب منها أن تحكي قصتها وسبب بكائها للأحباب والأعداء، فتحولت القصيدة إلى **دراما صغيرة** على حد تعبير الناقد (**كلينثبروكس**)، لأنها تقوم على صوت يحاور نفسه أو "**أنا**" تحاور العالم في حوارها مع نفسها (عيسى، 2006، ص151)، وهذا الحوار يكشف تردد الذات وقلقها بقوله: (أرزين، 2009، ص114).

سَلْتَكْ لَلّهْ عِيدْ لِي اشَ جْرَى لَكْ اَعْلاَشْ بَاكْيَة مَا دَالـــكْ

اَشْ كَانْ قَصّتَكْ وَاشْ انْهُوّ دَاكْ

اَشَ انْ هوّ دَاكْ بَاشْ رَقّْ اَخْيَالَكْ وَاكْسَى قَامْتَكْ جل حالكْ

وَاثْبَاتْ بَاكْيَة لاحْبَابَكْ وَاعْدَاكْ

نلمس مفارقة عجيبة في هذه الأبيات، فالبكاء أصبح شعار يرفع أمام الأحباب والأعداء، فعادة الإنسان مواجهة أعدائه بالقوة والصلابة وليس بالبكاء، لكن الأمر هنا مختلف، وهو ما يكابده الشاعر وما يعيشه في مجتمعه المملوء بالخصومات والصراعات–على حد علمنا –

يصرح الشاعر بعد ذلك بمصائبه وانكساراته، فيقول أن قصته ومعاناته تتعدى قصة الشمعة، فهو يتألم كأنه يقبض براحته على أحر الجمر من شدة الحزن والألم وهذا نتيجة القلق وتأزم الذات الشاعرة لابن الرزين مجسدا ذلك في قوله: (أرزين، 2009، ص114).

لِيِّ دُونْ اَخْفَا اَشْكِي بْمَا فَي ادْخَالَكْ اَحْــكِي قْــصِتَكْ نَصْغَى لَكْ
اَنَــا اغرايبـــي بِهَا نَتْعَــدّاكْ

2- الذات المتألمة:

الألم هو ظاهرة سوسيو نفسية تنم عن فقدان ميكانيزمات التوافق الداخلي والخارجي للذات الإنسانية، وقد أصبحت هذه الظاهرة جلية واضحة في الشعر الملحون المغاربي بصفة عامة وعند ابن الرزين بصفة خاصة، وذلك من خلال عرضه لصور الألم المتعددة، كاليأس، الغضب، والقلق؛ إذ تداخلت أسباب الألم عند ابن الرزين، فمنها الأسباب الداخلية الممتزجة بنفسه، المختلطة بكيانه، كانت تدفعه دائما إلى طلب الوحدة والانعزال من أجل التأمل وعدم مخالطة من لا يقاسمه الرأي والمشورة، فيجد نفسه مجبرا على الانطواء دون تخطيط مسبقا لذلك. أما عن ألمه لأسباب خارجية تمثلت فيما عايشه من مآس وأحداث مؤلمة، وأوضاع مزرية، انعكست على نفسه المرهفة، فأثارت أحزانه، وفجرت آلامه، وهذا ما كشفت عنه بقية الأبيات من القصيدة؛ إذ يقول: (أرزين، 2009، ص114).

لَوْ جِيتْ يَالشّْمْعَة نَحْكِي لَكْ كُلّْ مَا اجْرَا لِي تَنسَى اَغرِايبْك ْوَاتْسَمْعِي لَغْرَايْبِي اَطْوِيلة

يفصح ابن الرزين عن معاناته فيخاطب الشمعة ويكشف عن انكساره الذاتي، فمعاناته مع تقلبات الدهر ثقيلة جدا، تفوق أحزان الشمعة الباكية الشاكية، ولو سمعتها الشمعة لسكتت عن الشكوى والبكاء من هول ما وقع وكابده شاعرنا.

إذ يفيض لسان الشاعر بالانكسار ويسترسل بالشكوى ليواصل حواره مع الشمعة، فيذكرها بأن النار التي تبكيها واحدة، لكن بداخله نيران حارقة تلهب أحشائه وتكوي أضلاعه وتؤرق نومه، يؤججها الشوق والحنين إلى أحبته وخلانه.

وتستمر المقارنة بين حال شاعرنا وحال شمعته النائحة، مبينا أن أسقامه وحزنه يتعداها بكثير، فإذا كان حزنها بسبب المرض فأمراضه وعلله تفوق معاناة السابقين، وهذا ما ترجمته الأبيات: (أرزين، 2009، ص114).

إذا بَاكْيَة مَنْ نَارَكْ نِيرَانْ فِي ادْخَالِي عَدَّاتْ كُلّْ نَارْ فْيَ داتِي وَاجْوَارْحِي اكميلة

إذا بَاكْيَة بَسْقَامَكْ شُوفِي اَسْقَامْ حَالِي مَنْ قِيسْ وَارْثُه بَعْدْ اَفْنَاهْ اسْقَامْ حُبّْ لِيلةَ

ينقل الشاعر سلسلة معاناته وانكساراته ليستفز الشمعة ويخاطبها بلين ليذكرها بالحب العفيف (العذري) الذي عاشه قيس مع ليلى وما لحق به نتيجة الفراق عمن يحب، ويبدو أن شاعرنا الشعبي على اطلاع بهذه الصورة العفيفة في تاريخ أدبنا وما نلاحظه أن العفة لم تدخل نفوس الشعراء الشعبيين صدفة وبطريقة عفوية، وإنما للدين الإسلامي والبيئة المفطورة على تعاليمه دور في تقديم أجمل الصور عن الحب الحقيقي (العفيف).

إن الحوار الذي يقيمه الشاعر مع الشمعة أقرب إلى حوار النفس مع ذاتها(**المونولوج**)، يجسد فيه الشاعر مشاعره التي تضخ بالانكسار، والملاحظ أن الشاعر اتكأ على عنصر الحوار "لضمان حركة القصيدة وحيويتها" (عيسى،2006، ص212).

لتمضي القصيدة في منح أسرارها للمتلقي، وتتكشف صورة انكسار الذات الطامحة لزيارة مكة المكرمة والطواف بالكعبة المشرفة، ليتراءى أن إحدى أسباب انكسارها البعد والاشتياق إلى هذا المكان المبارك الطيب، وهذا ما وقفنا عنده في الأبيات التالية: (أرزين، 2009، ص114).

إذا بَاكْيَة بَفْرَاقَكْ مَفْرُوقْ عَنْ اَوْصَالِي وَعْلَى اَلْفْرَاقْ صَابَرْ أشِيصَبِّرْنِي عْلَى اَلْعْقِيلةَ

إن ارتباط الشاعر بهذا المكان المقدس يحيلنا إلى المشاعر النفسية والاضطرابات الداخلية وإلى الغربة التي تمكنت من ذاته بشكل أو بآخر، فضلا عن الحنين إلى زيارة هذا المكان المقدس الذي يشعره بالأمان والراحة، ويسهم في إيقاف انكساراته الذاتية. فالمكان بكل شفراته ورموزهّ يعد "وسيلة للإفصاح عن مشاعر الحزن والحنين والغربة والخوف والقلق" (السبهاني، 2007، ص18)

3- الذات الساردة:

يسرد لنا الشاعر في هذه الأبيات الشعرية حكاية الشمعة وما حدث لها لتصل إلى ما وصلت إليه، ويصف في الوقت نفسه حجم الانكسار الحاصل لذاتها، حيث تعمد الشاعر استنطاق الشمعة لتدلي بشهادتها عن العذاب التي أغرقها في الأحزان، ليعطي مصداقية أكثر لحكايته

فحياة النعيم التي كانت تعيش فيها رفقة أبطال مدربين يعملون بمنتهى الجدية والنشاط، ويشيدون بروج عالية بهندسة متقنة وهم قبائل النحل الذين لا تشبههم قبيلة أخرى، أوضاعهم

انقلبت وحالتهم تبدلت من أحسن إلى سيء، وهذا ما يؤكد لنا الحالة النفسية المتواترة للشاعر والمسار المعاكس لما كان يرجوه إذ يقول: (ابن الرزين، ص115)

بَلْسَانْ حَالْهَا قَالَتْ لِيِّ مَا اخْفَاكْ حَالِي يَكْفَاكْ يَالسَّايَلْ حالي عَنْ حَالِة الوحيلة

بَلْسَانْ حَالْهَا قَالَتْ لِيِّ مَا اخْفَاكْ حَالِي

فِي صُولْة اَلْعْمَالةَ كُنْتْ وُكَانُو لِي أقبايل الجناح الاّ تحكي كيفها اقبيلة

في الحقيقة شاعرنا يسرد أهم التحولات والتفككات التي طرأت على حياته، وما آل إليه من تهميش واستكانة قلبت موازين الاستقرار الذي كان يعيشه بين الأهل والأحباب.

يواصل الشاعر سرد أغوار الحكاية، وما حدث للشمعة متبعا في ذلك زمنا كرونولوجيا يجعلنا نلمس دوره كسارد في ترتيب الأحداث.

لنقف في بقية الأبيات أن الشمعة تضخم من مصيبتها، وتخبر الشاعر بأن حكايتها طويلة لتنتقل بعد ذلك للدفاع عن أبطالها الذين أهلكوا أحشائها بالنار، فتبالغ فيما أصابها بقولها "لو كان أبطالي من الحديد لانصهروا بفعل النار، "ثم تتدرج شيئا فشيئا لتكشف عن أصلها ومراحل نشأتها والعملية التي قاموا بها، فسببت لها الانكسار وشماتة الأعداء، إذ يقول الشاعر:(ابن الرزين، ص116)

اَسَايَلْ لـــيِّ دَبْرُوا بَمْسَالَكْ تَرْكُو اَحْشَايْ بِي هَالَكْ

لُوْ كَانْ مَنْ اَلْهَنْدْ اَقْوَامِي يهْلاَكْ

دَارُونِي فَيْ اتخُوتْ زَيْ مَا ابدالك تَبْغِي في قَلْبْهَا عَدَّالَكْ

يَتِّخْتُـــوا حَتِّـــى يَسْتَوْلَوْا بْلاَكْ

إن براعة الشاعر وقدرته على التصوير تجعل السامع أو القارئ للقصيدة أمام مشهد نفسي تخيلي، ملون بشعور قوي بالحزن والانكسار الذاتي، وهو ما يترجم لنا جمالية التصوير وصدقه في الشعر الشعبي بصفة عامة وعند" **ابن الرزين**" بصفة خاصة.

وإذا تعمقنا في تحليل بقية الأبيات نجد أن الشمعة تتمثل ككائن حي يتميز بخاصية التفكير، مسترجعة كل ما حدث لها فتكررت لفظة "**نتفكر**" ثلاث مرات في بداية كل بيت وهذا ما يطلق عليه "**التذكر الاسترجاعي**"، فيما يشبه ما يعرف في لغة الفن السينمائي الارتجاع أو (**الفلاش باك**)، مثلما حدث مع الشمعة التي وقفت وتذكرت ما حدث لمملكتها ولأبطالها

النحل رغم الحراسة المشددة المحاطة بها، فتزداد دموعها وحسرتها على مصيبتها التي لا يضاهيها شيئا آخر؛ إذ يقول الشاعر : (ابن الرزين، ص117)

نتفكّرْ اَلْعصَارَة وَاهْجيرْ اَلشّـــــارْدَة وانقول واجب ابكاي على ما صارلي أكبيلة

نتفكّرْ اَلْعْمَالة وِيزِيدْ اَفْرَقْهَا أنكـــالي نتفكر القصارة واتعود اقلايدي اهليلـــــة

إن الكلمات المكررة سيدة المضمون وهذا استجابة لطبيعة الشاعر الحزينة الذي يثير العديد من التساؤلات المنبعثة من حزنه العميق وخوفه من المجهول الذي أثقل كاهله، وهذا ما يؤكد أن التكرار إلى جانب كونه ظاهرة أسلوبية "فإنه كأداة لغوية يعكس جانبا من الموقف الشعوري والانفعالي" (ربايعة، د.ت، ص14)، فابن الرزين لم يبتغي تكرار الألفاظ للتنميق، وإنما أراد التأكيد على حالته الشعورية المترجمة لانكساراته الذاتية.

4–الذات المغتربة:

يعد الاغتراب ظاهرة إنسانية، تتسم بالوحدة والانطواء؛ إذ تفقد ذات الفرد معاني الإحساس بالاستقرار والتوازن النفسي، مما يؤدي إلى انكسارها وضعف روابط الانتماء والشعور بالتهميش وفقدان القيمة والأمان من الواقع المحيط بها، هذا الأخير أصبح بمثابة حلبة مصارعة تمارس فيه الذات اغترابها؛ لذا نجد ابن الرزين يعاني من غربة شديدة بين الأهل والأحباب، لأنهم سلموا فيه وتخلوا عنه، فلم يعدّ يشعر بالسلامة والأمان اللذان تطوق نفسه إليهما، والبكاء أصبح مطلبا شرعيا، يحـــق له في كل لحظة، فيقول:(ابن الرزين، ص117)

يحَـــقّ لِي اَبْكَايْ عْلَى اَلْغُرْبَة مَااجْبَرْتْ وَالِي فِيّ اَمْسَلّمِينْ ارجالي واسْلاَمْتِي اَقْلِيلة

فالشاعر يعاني من الاغتراب الذي يمكن تعريفه بأنه "الانسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الوضع السائد في المجتمع، واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة " (أبو زيد، 1979، ص4).

تعكس هذه الأبيات بلاغة الشاعر وبراعته في التصوير الدقيق، فلنقف مرة أخرى عند هذا البيت (فِيّ اَمْسَلّمِينْ ارجالي واسْلاَمْتِي اَقْلِيلة)، لنتأكد من نفاذ بصيرة الشاعر وعمقها في توصيف الأشياء، فالشاعر أصبح غريبا، منكسر و لم يعد في العزّ الذي كان ينعم به.

ويصف شاعرنا حالته المزرية على لسان الشمعة، موضحا حكايته وما ابتلي به، وما يصاحبه من شعور قاس أليم، فيقول:(ابن الرزين، ص117)

اَشْحَالْ مَنْ اعداب اَجْرَى لِيِّ كِيفْ مَا انبالي اشُومْ لِيعتِي وَابلايا وَاصْدَفْتْ كُلْ حيلةَ
اَشْحَالْ مَنْ اَهلاك اَجْرَا لِي وَأمَّا اَلشْعِيلْ تَالِي هذا العشور في الواقع بي غاية القتيلة

يؤكد الشاعر أن سلامة الإنسان من سلامة أهله وأحبابه، فالوضع الذي يعيشه أكثر من عذابه وتوالي مصائبه فانكسرت ذاته وتمزقت بسبب الدسائس والحيل التي حيكت ضده، وما صعب عليه الأمر شماتة أعدائه الذين استخدموا كل الطرق والأساليب لتدميره وإيذائه.

تستدرك الشمعة قولها لتقرّ أن جراحه إلا تعد ولا تحصى،أخرها الاشتعال الذي أنهكها، فهناك عذابات أخرى مدسوسة في ذاتها جعلتها رهينة الحزن والانكسار النفسي.

فما حدث لها يمثل عشر ما كشفت عنه من مصابها لتصل إلى مرحلة احتراق فتيلها وموتها الأبدي.

إن هذا ما يحيلنا على قراءة جديدة تكمن في الموت الظاهري اللاحقيقي للشاعر نتيجة الصعوبات التي مر بها، فيبدو وكأنه يعاني الموت البطيء، وهذا لا ينجم إلا عن ذات منهزمة منكسرة لم يعدّ بإمكانها السيطرة على الوضع الذي تعيشه.

5–الذات الحائرة

تعد الحيرة شعورا نفسيا باطنيا، يصيب الإنسان نتيجة المفارقات التي تفرضها عناصر الحياة، فتربكه وتدخله في صراع مع ذاته، مثلما حدث مع شاعرنا الذي وقف يترصد مواصفات الشمعة محاولا استعادة كينونتها وماهيتها بهدف إيقاف انكسارها، هذا الأخير أوقع الذات في أزمة أدت إلى حيرتها رغم ما تتميز به من فضائل، فيذكرها بأنها مصدر لمّ الشمل بين الأحباب والأصدقاء للمسامرة على ضوئها، وبأفولها يتفرقون، وهذا ما ترجمته الأبيات التالية للقصيدة:(ابن الرزين، ص117)

سَالْ اَهْلَ اَلْحَضْرَة اِلَاافْرَقْتْ اَبْطَالَكْ وَاقْبَايَلْ اَلْجْنَاحْ اَرْجَالَكْ
أرَاكِ امْعَ اَرْجَالاَ يَزْهَاوْا اَمْعَاكْ
بَلْغَاهُمْ يَتْذَكْرُوافي مَا يَزْهَى لَأأكْ وَعْلَى اَلسْرُورْ نَادَى فَالَكْ
واضْيَاكْ كَيراعي لكْمَال اَرْعَاكْ
بِكْ يسَهْرُوا فْي كلْ دَاجْ لْحَالَكْ والا يَنْصَرْفْ مَشْعَالَك
تَدْعِي بَالْفْرَاقْ وُيُــقْبَالْ اَدْعَاكْ

يبدو الشاعر في حيرة من أمره فبالرغم من الألم والدموع وما يشعر به من فقد وانكسار، إلا أنه اختار وسيلة أخرى ليعبر عن ذاته المنكسرة من خلال التركيز على مواصفات وأدوار الشمعة والدلالة على مكانتها، والتي تمثل مكانته في حقيقة الأمر. وبالتالي يحاول مداواة انكساره من خلال نفسه الذات الشاعرة.

يواصل الشاعر حديثه عن مكانة الشمعة ويدعوها للكف عن البكاء، لأنها ذات عالية الشأن لا أحد يستطيع الاستغناء عنها، فالحقيقة أن الشاعر يريد من وراء ذلك تخفيف معاناته التي أسقطها على الشمعة ليسترجع أنفاسه ويستجمع قواه المنهارة ويبرهن على مكانته العالية وسمو قدره الذي طعن فيه من قبل الكثيرين من خصومه إذ يقول:(ابن الرزين، ص118).

اعْلاَشْ يَا الشّمْعَة تَبْكِي وانْتِ فْي شَانْ عَالِي وَجْدُوكْ يَا الشّمْعَة فَي امْجَالَسْ رَايْقَة اَحْفِيلــةَ

وَاتْبَاتْ يَالشّمْعَة تَرْتِي فَي اضْرِيحْ كُلّ وَالِي فَي اشْحَالْ مَنْ اَمْقَامْ يشَعْلُوكْ عْلَى أهْلَ اَلْوَسِيلةَ

وَتْبَاتْ يَالشّمْعَة بِينْ أْهلَ اَلشّرْحْ وَالْأمْثَالِي وَاعْلِيكْ يْشَرْحُــــوا اَلكُتْبْ اَلْبَازْغَة الْجَلِيلــة

وَاتْبَاتْ يَا الشّمْعَة فَي امْسَاجَدْ رَبّْنَا اَلْعَالِي وَعْلِيكْ كَيخُرْجُوا السُّلْكَاتْ في ليلْةْ اَلْفَضِيلــة

توحي هذه الأبيات بمبالغة الشاعر في تعظيم مكانة الشمعة، فيذكرها بتواجدها في المجالس الراقية وفي الأفراح وجلسات الأنس والسمر ولأجلها تصرف الأموال الطائلة، ويضيف أنها رفيقة العشاق فبضوئها يشاهد المحبوب محبوبته ويتمعن في محاسنها وجمالها، ناهيك عن إشعالها عند الأضرحة للتبرك والدعاء طلبا في تحقيق الأمنيات. كما أن أهل العلم والإبداع يسهرون ويتدارسون الكتب القيمة والجليلة على ضوئها.

ينتقل الشاعر إلى مستوى أرقى وأعلى من التصوير تبعا للخصوصية الصوفية وهيمنة الروح الدينية لديه، ليذكر الشمعة بإنارتها للمساجد واستعمالها داخل هذا المكان المقدس بغرض التضرع لله تعالى والدعاء من أجل تخفيف أوجاعهم وآلامهم، وعلى ضوئها يختم القرآن الكريم في ليلة السابع والعشرين، إذ يقول شاعرنا الشعبي : (ابن الرزين، ص118).

واتبات يا الشمعة بين اهل المال والموالي وَعْلِيكْ كَيْصَرْفُواالَمْوَالْ اَلطّايْقَة اَلثْقِيلة

وَاْبَاتْ يَالشّمْعَة بِينْ اَلْعُشّاقْ و اَلْغْوَالِــي وَاعْلِيكْ كَيْشَاهَدْ اَلخْلِيلْ اَمْحَاسَنْ اَلخلِيلةَ

يدعو الشاعر الشمعة للبكاء طوال الليل ليعترف لها بانكساراته وتأملاته سببها بكاؤه المتواصل في مكة المكرمة على الذنوب التي أغرقته وأثقلت كاهله، وهذا ما نستشفه من الأبيات التالية: (ابن الرزين، ص118).

نَبْغِيكْ يَاَ الشّمْعَة تَبْكِي فِي حُرّةْ اَللّيَالِي وَانَا عْلَى ادْنُوبِي نَبْكِي فَي امْقَامْ دَارْ لِيلى

تتمحور فكرة هذا البيت حول الإحساس بالندم الذي يصل في نظر الشاعر إلى حد الجرم والجناية على غفلته وتقصيره في أمور دينه، فسارع إلى مكة المكرمة (امْقَامْ دَارْ لِيلى) يتضرع لله طالبا العفو والمغفرة .

وفي حيرة من أمرها ترد الشمعة وتطالب الشاعر بأن يسرد نيران ذاته، فعلى حدّ علمها فهو خبير، شاعر ومبدع (**فما الذي يبكيه؟**)

إن ما يكابده الشاعر والشمعة لا يشعر به إلا من في وضعه وعاش تجربته، فالقصة واحدة والأسرار مشتركة بينهما، وكل من أراد أن يزنها ويحللها يجدها من الذهب الخالص؛ إذ يقول "ابن الرزين ":(ابن الرزين، ص119)

صبري يَا حَبْرْ اللّغَا بَشْعَارَكْ بِيَّ يخبروا باخْبَـــارَكْ
يَدْرِيهْ مَنْيكَونْ اَسْوَايَا واسْوَاكْ
نَارِي نَحْكِيهَاكم اَلْعْشُورْ فْي نَارَكْ وَاسْرَارِي تْجِي لَسْرَارَكْ
قَصّة مَنْ الْقْصَايَصْ عَشْقَكْ واَهْوَاكْ
فَاشْ ايجوْا أَلَوا يعيروا دِينَارَكْ مَنْ خَالْصْ اَلذّهَبْ عِيّارَكْ
يَخْفَى عْلَى الّذِي مَا داوَاهْ اَدْوَاكْ

يفصح الشاعر بنبرة حزينة وذات منكسرة متألمة عن همومه، ويسرد مصابه من خلال قوله :(ابن الرزين، ص119)

اَجْدَالِي واَشْحَالْ قُلْتْ لِهَا مَنْ قُومْ يطَالْبُوا وَاشْحَالْ مَنْ اَجْحُودْ مْنَ اَجْدَالِي باقْيَة
وَاشْحَالْ مَنْاَ عْقودْا عْلِيهُمْ تُدْكَارْ مَنْ اَلآلِي مَشْهودَها اَعْلِيهُمْ بَمْعَانِي رَايْقَة اَنْبِيلةَ

إن القراءة الفاحصة لهذه الأبيات تكشف لنا عن صراعات "**ابن الرزين**" مع خصومه منهم" **ابن سلمان**"، فيذكر الشمعة بأن ما وقع لها ولقومها لا يقاس بما وقع له، فقومه تعرضوا له بالكلام الجارح، ونسبوا له ما لم يقله، وأنكروا عمله وجحدوا أشعاره، و لم يعطوها قيمة.

يحاول الشاعر تخطي انكساراته وتجاوز محنته التي أفقدته توازنه النفسي، فانطلق للدفاع عن نفسه وتعظيم قيمته قائلا: أن كلامه رائع ومشهود له، أشعاره راقية، نبيلة ورصينة، نلمس

افتخار وتعظيم الشاعر لذاته، وهذا يذكرنا بتضخم الأنا عند المتنبي، فشاعرنا استنفذ كل ما يريد البوح به.

وكما هي عادة شعراء الملحون ختم القصيدة بالهجاء لكن شاعرنا رحمه الله اختار الفخر قبل الهجاء وهذا ما نلمسه في الأبيات الأخيرة من القصيدة، إذ يرى الشاعر أن أهل العلم والحكمة والملحون غابوا وتركوا الساحة لغيرهم، الذين يدّعون العلم والشعر وهم لا تربطهم به صلة، كما أنه يرى أن غياب الفائدة تدفعه إلى عدم محاورتهم ومجادلتهم، فالصمت دواء لنفسه وروحه وهذا ما نقلته الأبيات التالية:(ابن الرزين، ص119)

اَلصِّمْتْ خِيرْ لِي مَنْ قُومَانْ اسكاتها ولالي مَنْ لاَ بْفَايْدَا فَادُونِي اَلمْعَارْفْ اَلرّْذِيلة

غابوا اَهْلْ اَلْهْوَى وَاضْحَى سوقي مَنْهُمْ حالي ولاّوْا بِهْ يَـــدْعيوْا مَنْ لاَ يَدْرِيوْا لِهْ صِيلةَ

يبدو أن الذات عاجزة عن تغيير أوضاعها المتداخلة، لذلك اقتصر دورها على التمني والانتظار ليتوقف انكسارها وقلقها وتستمر في رحلة الحياة المملوءة بالانكسارات. ومن ثمة فإن صراعه يحتدم ويكشف على التحدي ومحاولته الانتصار على خصومه لتأكيد ذاته، وفي ذلك تحول من زمن الانكسار إلى النقيض.

كما اتسمت الذات المنكسرة عند ابن الرزين بالجرأة الاستثنائية في الرد على من سببوا له الوجع والألم، ومرد ذلك إلى ما يحمله من قيم ايجابية في موازنة الأمور، إضافة إلى رجاحة عقله وقدرته على الرؤية الصحيحة للأوضاع المحيطة به.

خاتمة :

- انطلاقا من دراستنا لظاهرة الانكسار الذاتي في القصيدة الشعبية لابن الرزين توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:
- القصيدة صورة من صور حوار الإنسان مع ذاته، وهو حوار يحاول الشاعر من خلاله الغوص في أعماقه بحثا عن حقيقته وأملا في فهم ما يجري حوله.
- يؤدي الحوار الدور البارز في قصيدة الشمعة لأنه الأنسب لحالة الشاعر النفسية.
- تعد قصيدة الشمعة ترسانة من الألفاظ والصور التي تجسد واقع الانكسار الذي يعيشه الشاعر ابن الرزين.
- تداخلت مجموعة من العوامل التي سببت الانكسار الذاتي للشاعر نذكر: منها البعد المكاني، الاغتراب، الصراع.

- استطاع الشاعر أن يقدم لنا معجما متنوعا مشكلا من ألفاظ الانكسار التي طغت على ذاته نتيجة حمولات متراكمة كامنة في بيئته.
- استحضر الشاعر في مخيلته صورة الشمعة فجاءت قصيدته مليئة بعبارات الانكسار والشجون، جعلها الشاعر قالبا لإفراغ همومه، أحزانه ومصائبها المتوالية.
- يسقط "**ابن الرزين**" معاناته وانكساراته على الشمعة التي انحلت بذاته فجعل منها كائنا حيا يقاسمه أوجاعه آلامه.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. إبراهيم أحمد ملحم: جمالية الأنا في الخطاب الشعري، دراسة شعر بشار بن برد، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ، 2004.
2. ابن منظور: لسان العرب،(مادة ذو)، مج 15 ،دار صادر، بيروت .
3. جبران مسعود: الرائد، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982.
5. حسن شحاتة: الذات والآخر في الشرق والغرب، صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، القاهرة، ط1 ،2008.
6. حسين الصديق: العودة إلى الذات، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، د ط، د ت.
7. الشيخ محمد بن علي أرزين، الديوان، موسوعة الملحون، إشراف وتقديم عباس الجراري، الرباط،2009.
8. صالح الخرفي: في رحاب المغرب العربي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص42.
9. فوزي عيسى: النص الشعري وآليات القراءة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2006.
10. فوزي عيسى: النص الشعري وآليات القراءة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص212.
11. محمد عبيد صالح السبهاني: المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة،2007.
12. موسى ربايعة: قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، د.ت.

مقال في مجلة:

1. أحمد أبو زيد : الاغتراب، مجلة عالم الفكر ، الكويت، مج 10، ع1، 1979.